

عن متناولهم. لقد وضع بيدبا كتابه «على ألسن البهائم والطير صيانة لغرضه الأقصى فيه من العوام، وضناً بما ضمنه عن الطغام».⁽¹⁹⁾ إن في الكتاب سرّاً لن يفتن إليه إلا القارئ الذي «يدم النظر فيه ويُلتمس جواهر معانيه».⁽²⁰⁾ وقد يكون المطلع على الكتاب من الخاصة، ومع ذلك يغيب عنه ما يتضمّنه من سرٍّ. فعندما قرأ يثدّب الكتاب أمام أهل المملكة، التفت إليه دبشليم و«سأله عن معنى كل باب وأي شيء قصده فيه فأخبره بغرضه فيه وقصده في كل باب».⁽²¹⁾ يثدّب وحده يعلم السر المودع في الكتاب وهو وحده القادر على إبرازه والإخبار به.

أي سر؟ كل حكاية في الكتاب مسبوقة ومتبوعة بشرح مستفيض وبتبيان وافٍ للمقصود منها، بحيث لا يبدو أنها بحاجة إلى توضيح إضافي يكشف معنى خفياً ويفشي سرّاً مكنوناً. إلا أن مجرد الإيحاء بوجود سر يجعل المطلع على الكتاب يرتاب ويتساءل عما قد يكون خفي عنه وغاب عن ذهنه أثناء القراءة.

أضف إلى هذا أن يثدّب طلب من دبشليم أن يحتاط على الكتاب وأن لا يسمح بخروجه من بيت الحكمة. فكما أن كل حكاية من حكايات كليلة مشدودة في إطار متكون من افتتاحية وخاتمة، وكما أن الحكمة مغلفة في ظرف الحكاية، فإن الكتاب مخفي في خزانة الملك لا يستطيع أي واحد أن يفتحه ويطلع عليه. وإن من تسول له نفسه الاقتراب منه يعرف أن مصيره الموت لا محالة، كما هو الحال في الأساطير التي تتحدث عن كنز يحرسه تين مفرغ. إلا أن إخفاء كتاب يجعل الناس يتشوقون إلى الاطلاع عليه ويتجشّون المشاق والمخاطر من أجل إدراكه. وذلك ما حدث بالنسبة لكليلة ودمنة الذي أفلح برزويه الطبيب في انتساخه فشاع وصار في متناول الجميع.

(19) ابن المقفع، ص. 7.

(20) ابن المقفع، ص. 58.

(21) ابن المقفع، ص. 22.